خطبة الكسوف والتحذير من مـــوجبات دخول النار

خطبة جمعة بتاريخ : ١٤٣٢/٠٧/١٥ هـــ .

الحمد لله العلي القدير ، العليم الحكيم ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له ملك السموات والأرض وإليه المصير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله البشير النذير صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد أيها المؤمنون : اتقوا الله تعالى ؛ فإن تقوى الله جل وعلا خير زاد يبلغ إلى رضوان الله ، قال الله تعالى : {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة:١٩٧].

أيها المؤمنون : لقد شهد الناس في الليلة قبل الماضية آيةً عظيمةً باهرةً من آيات الله العظام دالةً على كمال اقتدار الله عز وجل وكمال تدبيره سبحانه ؛ ألا وهي – عباد الله – خسوف القمر خسوفاً كلياً في ليلة الرابع عشر ليلة كمالِ الإبدار وتمامِ الضياء والنور ؛ فكانت آية عظيمة تهز القلوب وتُري العباد كمال الخالق جل وعلا ووجوب الخوف منه سبحانه واللجوء إليه عز وجل ؛ ولهذا تأسى المؤمنون برسول الله عليه الصلاة والسلام فخرجوا إلى المساجد ليصلُّوا صلاة الكسوف متأسين بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعاءٍ وذكرٍ وسؤالٍ واستغفارٍ وفزعٍ إلى الله جل وعلا ، والله تعالى يقول : { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } [الإسراء:٥٩] .

أيها المؤمنون ولقد شاهد نبينا عليه الصلاة والسلام – وهو يصلي بالناس– شاهد بعينه أثناء صلاته الجنة وشاهد النار ، ولما رأى الجنة تقدم ، ولما رأى النار تأخر ، وأخبر – عليه الصلاة والسلام – بأمورٍ شاهدها في النار على سبيل تنبيه العباد وتذكيرهم وتخويفهم من موجبات دخول النار ؛ يقول عليه الصلاة والسلام : ((لَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا)) وقال عليه الصلاة والسلام : ((فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ كَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ)) ؛ كل ذلكم قاله عليه الصلاة والسلام للناس بعد صلاة الكسوف ؛ قالت عائشة رضي الله عنها : ((فَكُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ)) .

أيها المؤمنون : وفي خطبة نبينا عليه الصلاة والسلام وعَظَ الناس وحذَّرهم وأنذرهم ونهاهم عن الذنوب والآثام التي توجب دخول النار ، وكان تحذيره عليه الصلاة والسلام من الذنوب والآثام وكبائر الذنوب العظام بطريقةٍ تميزت في تلك الخطبة بذكره – عليه الصلاة والسلام – لأشخاصٍ رآهم في النار يذوقون حرها ويصطلون بنارها ، وذكر سبب ذلك – عليه الصلاة والسلام – تحذيراً وإنذارا .

وبمناسبة حداثة عهدنا بخسوف القمر فلنقف – أيها المؤمنون – مع موعظة نبينا عليه الصلاة والسلام البليغة ، لنقف وقفةً يحاسب فيها العاقل نفسه ويعمل على تغيرِ حاله ؛ فإن الله تعالى يقول : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }[الرعد:١١] . وقد جمع النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته تلك ذِكْر ذنوب أربعة ؛ هي أعظم الذنوب وأخطرها وأكبرها وأشنعها ، جمعها عليه الصلاة والسلام تحذيراً وإنذارا ؛ وهي : الشرك ، والقتل والزنا ، والسرقة .

أما تحذيره من الشرك وبيانه لخطورته فإنه صلى الله عليه وسلم قال : ((رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ – أي أمعاءه – كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ)) وعمرٌو هذا هو الذي سنَّ للجاهلية جاهليتهم ، وجلب الأصنام لجزيرة العرب ، ودعا الناس فأجابوه ؛ فتغيرت الفطَر وانحرف الناس وبدَّل دين إبراهيم الخليل عليه السلام فأصبحت الأصنام تُعبَد حول الكعبة بيت الله ، وأصبحت الأصنام تُنصب حول الكعبة بيت الله ويقصدها الناس حتى أن تلبيتهم في الحج تحولت إلى تلبيةٍ ملوثةً بعبادة الأصنام ؛ فكان قائلهم يقول في تلبيته : " لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ " .

والشرك – عباد الله – : هو الذنب الذي لا يُغفر ، والجرم الذي إذا مات عليه صاحبه ليس له يوم القيامة إلا النار مخلداً فيها أبد الآباد ، ولا فرق في الشرك – عباد الله – بين عبادة صنمٍ من الأصنام أو قبرٍ من القبور أو قبةٍ من القِباب ؛ فالعبادة حقٌ لله تبارك وتعالى والدعاء حقٌ لله تبارك وتعالى فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}[الجن:١٨] ، { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة:٥] .

أيها المؤمنون : وفي تحذير النبي عليه الصلاة والسلام من جريمة القتل ؛ وهي جريمةٌ شنيعة فيها تعدٍ على الأرواح المعصومة ذكر – صلى الله عليه وسلم – في خطبته تلك قال : ((رَأَيْتُ فِيهَا – أي في النار – امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)) ؛ قطةٌ قتلتها هذه المرأة هذه القِتْلة الشنيعة فكان قتلها لها موجباً لدخول النار ، ورآها –عليه الصلاة والسلام– تعذب في النار بتلك الهرة ؛ فكيف

– عباد الله – بمن يعتدي على الأرواح المعصومة والنفوس المسلمة !! يتعدى عليها قتلاً بأشنع أنواع القِتْلات في صورٍ نشاهد بعضها وألواناً منها في زماننا هذا من أهل وحشيةٍ وعدوان وجبروتٍ وطغيان . نسأل الله عز وجل أن يقصم كل معتدٍ آثم ، وأن يقطع دابر المجرمين ، وأن يحقن دماء المسلمين بمنِّه وكرمه .

أيها المؤمنون : وفي تحذير نبينا عليه الصلاة والسلام من الزنا في خطبته تلك قال عليه الصلاة والسلام : ((يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ؛ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) ؛ فحذَّر عليه الصلاة والسلام من الزنا ، تلك الجريمة الشنيعة والذنب الفظيع الذي نهى الله جل وعلا الناس عن قربانه { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء:٣٢] ، والزنا مرضٌ فتاك وداءٌ خطير ومجلَبةٌ لأنواعٍ من الفساد والأضرار في المجتمعات مما لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى .

أيها المؤمنون : وفي تحذير النبي عليه الصلاة والسلام من السرقة – وهي تعدٍ على الحقوق وأكلٍ لأموال الناس بالباطل – قال صلى الله عليه وسلم في خطبته تلك : ((رَأَيْتُ فِيهَا – أي النار – صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِى ، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ)) ؛ فرأى النبي عليه الصلاة والسلام هذا السارق الذي يسرق حجاج بيت الله الحرام يُعذَّب بسرقته في النار ، والسرقةُ جريمةٌ نكراء وذنبٌ شنيع فيه تعدٍ على الأموال المحترمة وعلى حقوق الناس ، وفيه أكلٌ لها بالباطل ، وهو موجبٌ لدخول النار كما هو واضح في هذا الحديث .

أيها المؤمنون : هذه ذنوبٌ وجرائم أربعة هي أكبر الجرائم وأفظعها وأشنعها ؛ جمعَها النبي عليه الصلاة والسلام بالذكر في موعظته تلك تحذيراً للعباد وتخويفاً وتنبيهاً بتلك المناسبة ألا وهي شهودهم لآية الله العظيمة خسوف الشمس في زمانه – صلوات الله وسلامه عليه – ، وقد جمع صلى الله عليه وسلم هذه الذنوب الأربعة بالذكر والتحذير في غير ما مناسبة ومن ذلكم : ما جاء في حديث سلمة بن قيس الأشجعي رضي الله عنه قال : ((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَسْرِقُوا)).

أيها المؤمنون : لنتق الله ربنا ، ولنحاسب أنفسنا ، ولنتجنب موجبات سخط الله وأسباب دخول النار مجاهدين أنفسنا على ذلك صابرين مصابرين مرابطين راجين بذلك ثواب الله والنجاة من عقابة . أسأل الله عز وجل أن يوفقنا لفعل الخيرات واجتناب المنكرات .

أقول هذا القول واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُ ربُنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيها المؤمنون عباد الله : اتقوا الله تعالى .

عباد الله : وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم تلك خص النساء بالنذارة والتحذير والتخويف فقال عليه الصلاة والسلام في ذكره لما شاهده ورآه في النار : ((وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ، قَالُوا بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ. قِيلَ أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ بِكُفْرِ الْعَشِيرِ وَبِكُفْرِ الإِحْسَانِ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)) ذكر ذلك عليه الصلاة والسلام تحذيراً للنساء وتخويفاً لهن وتنبيها ، فكان عليه الصلاة والسلام ناصحاً أمينا ومربياً مشفقاً – صلوات الله وسلامه عليه – . وهذا الأمر الذي حذّر منه عليه الصلاة والسلام وأنذر تهاون فيه كثير من النساء بلا مبالاةٍ ولا اهتمام ؛ فأصبح شأنُ بعض النساء أن صارت الواحدةُ منهن خرّاجة ولّاجة لا تعتني بقرارٍ في بيت ، ولا تبالي بطاعةٍ لزوج ، ولا تعتدُ بقوامةٍ لزوجها ولا تعترف بذلك ، تركب رأسها وتمضي في شأنها في سنة جاهليةٍ وضلالةٍ عمياء ؛ فالواجب على المرأة أن تتقي الله سبحانه وتعالى وأن تحاسب نفسها وأن تزمّها بزمام الشرع الحكيم ، فإن الله تعالى لا يأمرها إلا بما فيه فلاحها وسعادتها في دنياها وأخراها ، ومع ذلك فقد رغب بعض النساء عن هدي الله ووصايا نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام واتبعن أهواء مريدي الشهوات ومتبعي الضلالات والملذات { وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } [النساء:٢٧].

اللهم يا ربنا أصلح نساء المسلمين وردّهنّ إليك رداً جميلا ، وجنِّبهنّ إلهنا دعاة الفتنة ودعاة الشر والفساد ، اللهم واحفظ عليهنّ إيمانهنّ واحفظ عليهنّ إسلامهنّ واحفظ عليهنّ عفتهنّ وشرفهنّ ياحي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام.

عباد الله : صَلُّوا وسلِّموا – رعاكم الله – على محمّد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في كتابه فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [الأحزاب:٥٦] ، وقال صلى الله عليه

وسلم : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)) . اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد . وارضَ اللَّهم عن الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين ؛ أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي ، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنّا معهم بمنّك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، وأذلّ الشرك والمشركين ، ودمّر أعداء الدين ، واحم حوزة الدين يا رب العالمين . اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا . اللهم وفق ولي أمرنا لهداك واجعل عمله في رضاك. اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها . اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى . ربنا إنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .